مفهوم العلم في القرآن
وأثره في النهضة الحضاريّة للأمَّة

The concept of science in Qur'an and its impact on the cultural renaissance of the nation

إعداد

د. مرهف عبد الجبّار سقّا

أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية بالزلفي – جامعة المجمعة.

الملخص :

يبين هذا البحث معنى العلم في القرآن الكريم باعتبار هذا المعنى منطلق السلوك الحضاري، وأحد مقوّمات النهضة الحضاريّة للمسلمين، ويبين البحث أثر هذا المعنى في الحياة العلميّة للمسلمين، وأثر تغير معنى العلم في الأمة الذي تسبب برجوع المسلمين عن قيادة الحضارة الإنسانيّة، واستبداله بمفهوم قاصرٍ وفَد من الغرب واستقر في عقول أهل الشرق.

من أهم نتائج البحث أنه بيّن شمولية مفهوم العلم في القرآن، وأن هذه الشمولية كانت أحد أركان النهضة الحضارية للأمة .

وأن الجهل الذي يعيشه المسلمون اليوم بشمولية معنى العلم في الإسلام، أدى إلى سيطرة المعنى الغربي للعلم، فكانت العاقبة ما نشهده اليوم من الجدلية العدائية بين العلم والدين، التي كانت من أهم أسباب معوقات النهضة المرجوة من أبناء الأمة .

Research Summery

This research shows the meaning of science in the Holy Quran as a source of civilized behavior and one of the components of the civilizational revival of the Muslims. It also shows the impact of this meaning on the scientific life of the Muslims. In fact, the effect of this change on the meaning of science in the nation has resulted in the losing of Muslims to their role in the leadership of human civilization and replaced it with a western minor concept that has settled in the minds of the people of the East.

The inclusiveness of the concept of science in Qur'an was one of the most important results of this research, which also was one of the pillars of the civilizational renaissance of the nation.

The Muslims' ignorance of the inclusiveness and coverage of the concept of science in Islam has led to the domination of the Western one and this in turn has resulted in the dialectic antagonism between science and religion, which was one of the most important reasons for the impediments of the desired revival of the nation.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾[الكهف:١]، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمّد الذي خاطبه ربه قائلاً: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:٤٤] وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أهميّة الموضوع:

إنّ السلوك الحضاري لأي أمّة لا بُد له من مفاهيم تستند إليها في توجهها وغايتها، وهذه المفاهيم تمثّل المنطلقات الأساسيّة لنهضتها الحضارية، ولما كان العلم أحد أركان الحضارة الإنسانيّة، وكان الإسلام هو عنوان الإنسانيّة، وكان القرآن هو منبع خير هذه الحضارة، فقد أولى القرآن هذا الركن الحضاري – أعني العلم – أهميّة بالغة لا ينكرها إلّا مكابر، ولا يجهلها إلّا كل ذي بضاعة مزجاة، وبلور مفهومه في الملكة الفكريّة للمسلمين كقاعدة بناء مستقبليّة تنشأ عليها حضارة الأمّة، وإذا استقرينا العهد المكي والمدني من تاريخنا الإسلامي، وجدنا أنّ القرآن الكريم في آياته المكيّة كان يركز على التصورات العقديّة من خلال الآيات الكونيّة كبرهان على أركان الإيمان وأولها التوحيد.

إنّ هذه التصوّرات العلميّة باختلاف تخصصاتها التي كان يبلورها القرآن في عقول وقلوب المسلمين صيغت بأساليب مُتعدّدة تستفز السامع نحو البحث والتعقُّل والتدبُّر والنظر، لتخرجه من تسلط العادات ووراثة الباطل والتسليم دون دراية، ويكون المبنى العقدي علمياً استدلالياً لا على مبدأ "أغلق عقلك واتبعني"، بل على سبيل النظر والبحث وفتح مدارك العقل وتفتيق مداركه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:٥٢]، أي: لقد أبلغكم الله كتاباً عظيماً قد تمكن فيه العلم الذي هو من عند الله الذي أحاط بكل شيء علماً، وفيه الهداية والرحمة لمن يؤمن به ويتدبرّه، فكانت الأمة تنعم بالعلوم وفي رحمة وهداية وعافية إلى أنْ جمدت عن تدبر كتاب ربها.

لقد تميّزت أمّتنا الإسلاميّة بحضارتها العلميّة والثقافيّة التي اعتمدت في نشأتها على مصدر لم تقم عليه أيّة حضارة قبلها ولا بعدها، وهو الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكان القرآن الأصل الأول لمادة علومها وتشريعها، والمدد الذي يُحفِّز أبناء الأمة الإسلاميّة لفهم ما حولهم من مشاهدات وثقافات مختلفة، فاعتنت الأمة بالقرآن عناية بالغة، واهتموا بشأنه اهتماماً عظيماً حفظاً وتفسيراً وتدبراً وتمحيصاً، فلم يكن القرآن سداً أمام التجارب والتقدم العلمي؛ كما لم تكن العلوم المكتشفة بأدوات صحيحة يوماً لتقف مُعارضة أمام كتاب الله الخالق لهذه العلوم، ولم يدر في خلد الأمة في سلفها وخلفها جدليّة التعارض بين العلم والقرآن أو العلم والإسلام، ليقين الأمة بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا()وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٨، ٨٩]. واستمر الحال كذلك حتى انقلبت المفاهيم فانقلب معها السلوك الحضاري المعتمد عليها.

ويأتي هذا البحث لبيان معنى العلم في القرآن الكريم باعتبار أنّهذا المعنى هو منطلق السلوك الحضاري، وأحد مقوّمات النهضة الحضاريّة للمسلمين، ويبين البحث أثر هذا المعنى في الحياة العلميّة للمسلمين، وأثر رجوع المسلمين عن قيادة الحضارة الإنسانيّة بسبب تغيُّر معنى العلم الأساسي للركن الحضاري، واستبداله بمفهوم قزم قاصر، وفد من الغرب واستقر في عقول أهل الشرق، إذْ نجد واقع هذا التغيير في المناقشات العلميّة مع أبناء جلدتنا لما يفصلون بين العلم والدين في القضايا العلميّة الكثيرة كالطب والفلك والطبيعة وغيرها من التخصُّصات، فتسمع هذا يقول: (التفسير الديني والتفسير العلمي)، ثم تسمع آخر يقول: (رأي الدين ورأي العلم)، ثم يزعق ثالث قائلاً: (لا بد من الرجوع إلى العلم وتمحيص الدين على أساسه) وغير ذلك من الدعاوى تسمعها بسبب احتلال المعنى المنقوص للعلم،الوافد على عقول مثقفينا وأبنائنا ونسيان المعنى الحقيقي للعلم في الإسلام.

أهداف البحث:

١. تعزيز عمليّة ربط المفاهيم المعاصرة بمدلولات الأصل الأول للمسلمين:القرآن الكريم.
٢. الإسهام في تجلية أحد الإشكالات الفكرية التي تعيق التقدم العلمي وتقديم الحلول.
٣. تصحيح مسار الثقافة الإسلاميّة وإزالة الغشاوة عن أعين المثقفين المسلمين الذي ابتعدوا عن المفهوم الصحيح للعلم بسبب الزخم الإعلامي والهيمنة الفكريّة العلمانيّة.
٤. تعزيز مفهوم شموليّة الإسلام وخاصة في العلم إذْ هو رسالته الأولى.

الدراسات السابقة:

لم أجد من ناقش قضية هذا البحث بشكل مباشر على الشكل المقصود منه والفكرة المطروحة، ولكن هذا لا يعني عدم وجود كتابات تطرقت لجانب يتعلق بأحد قضايا البحث، فمن أهم هذه الأبحاث: كتب الدكتور يوسف القرضاوي: "العقل والعلم في القرآن الكريم"(مكتبة وهبي، مصر،ط. أولى ١٩٩٦)، وعنوان كتابه واضح في أن موضوعه يختلف عن موضوع بحثنا وإن تقاطع معه في جزء منالعنوان وجزء من الدراسة، إلا أن منهجية تناول الموضوع تختلف،فقضية بحثنا حول دلالة الآيات على معنى العلم في سياقاتها دون الدخول في تفاصيل فضل العلم والعلماء والبراهين العلمية وأقسامها والتوسع في ذلك كما في كتاب الدكتور يوسف القرضاوي، لأن ذلك لا يخدم موضوعنا بشكل مباشر.

كما كتب الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد (مشروع النهضة الإسلامي، مستقبل للتضامن ودور العلماء فيه)(بحث مقدم للمؤتمر العالمي الثاني: العالم الإسلامي مشكلات وحلول الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي في مكة عام ١٤٣٥هـ)، وكذلك كتب المفكر المبدع مالك بن نبي (شروط النهضة)(ط: وزارة الثقافة والفنون، الدوحة، دون تاريخ)، إلا أنهما لم يتطرقا إلى مفهوم العلم كأساس لهذه النهضة، كما أنهما لم يعالجا أثر مفهوم العلم في القرآن على الحياة الإسلامية، ولذلك يعتبر هذا البحث مكملاً لمجموع ما سبق ويتميز عنها بمعالجة قضية مفصلية لبداية نهضة جديدة .

منهج البحث:

اعتمدت في كتابة البحث على المنهج الوصفي لأن فيه: الاستقراء لآيات القرآنالكريم حول القضيّة المدروسة، ثم الاستدلال على المراد من هذه الآيات وهو أسلوب التفسير الموضوعي للقرآن الكريم كما هو معلوم، ثم التوصيف لحالة الأمة عبر التاريخ، وتطوراتها والحالة التي آلت إليها والتعليق عليها تعليقا نقديا استنادا لما تقدم في ضوء مفهوم القرآن للعلم.

خطّة البحث:وقد قسّمت البحث إلى مقدمة ذكرت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره وأهداف البحث والدراسات السابقة ومنهج البحث، وخطته وهي:

المبحث الأول: معنى العلم في القرآن.

المبحث الثاني: أثر معنى العلم في القرآن في نهضة المسلمين الحضاريّة.

المبحث الثالث: الحالة العلمية في أوربا وأثرها في تغيير مفهوم العلم.

المبحث الرابع: أثر تغيُّر معنى العلم على الحياة الحضاريّة للمسلمين.

ثم الخاتمة: فيها أهم نتائج البحث والتوصيات التي يراها الباحث.

المبحث الأول: معنى العلم في القرآن:

تعريف العلم لغةً:

العين واللام والميم أصل صحيح واحد يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره، والعلم نقيض الجهل، ويعني: اليقين، يُقال علم يعلم إذا تيقَّن، وجاء بمعنى المعرفة أيضاً، كما جاءت بمعناه، ضُمِّن كل واحد معنى الآخر لاشتراكهما في كون كل واحد مسبوقاً بالجهل....، وإذا كان (علم) بمعنى اليقين تعدّى لمفعولين، وإذا كان بمعنى (عرف).

تعدى إلى مفعول واحد، وقد يضمن معنى (شعر)، فتدخل الباء، فتقول: علمته وعلمت به."[1]

(١)انظر:ابن فارس أحمد معجم مقاييس اللّغة د.ت(٤/١١٠،١٠٩)،الفيومي،أحمد،المصباح المنير(ص٣٤٧)،مادة (ع ل م).

أمّا تعريف العلم اصطلاحاً فلا يخفى اختلاف العلماء في العلم: هل يحد أم لا؟، ومن قال أنّه يحد اختلفوا في حده، وقد حفلت كتب الأصول والمنطق والمؤلفات التي عنيت بالمصطلحات بمناقشة مفهوم العلم وحده، وذكرت الفرق بين العلوم الحسيّة والنظريّة وأدوات كل منها، كما فرقت بين العلم والظن والعلم والجهل، والعلم والإدراك ممّا يطول الحديث فيه ولا علاقة له ببحثنا[1]؛ إذْ هو خلاف نشأ متأخراً ونحن نبحث في أثر مفهوم العلم في القرآن.

ولما كان محل البحث هو معنى العلم في القرآن فإني سأقصر الكلام على بيان مدلول القرآن للعلم، وسأعتمد في بيان مفهوم العلم اصطلاحاً النتيجةَ التي سأخرج بها من آيات القرآن الكريم، إذْ البحث متركّز على أثر هذا المفهوم القرآني على المسلمين.

العلم في القرآن الكريم:

لا يخفى على دارس في علوم القرآن كثرة ورود الآيات التي تحمل مادّة (علم) ومشتقّاتها، ومن ثم فإنّ دراسة مفهوم العلم في القرآن سأختصرها في جهتين:

الأولى: معرفة دلالة العلم في الآيات التي فيها لفظ (العلم).

الثانية: معرفة دلالة العلم بالنظر إلى استعمالاتها وتصريفاتها ضمن السياق.

معاني العلم في القرآن الكريم:

١. معرفة ما أنزل الله من تشريع وأحكام وفرائض ونحو ذلك على أنبيائه ورسله، واليقين به:

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى:قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾[الإسراء: ١٠٧]، فالذين أوتوا العلم هم "مِنْ صَالِحِ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ يُمَسَّكون بِكِتَابِهِمْ وَيُقِيمُونَهُ، وَلَمْ يُبَدِّلُوهُ وَلَا حَرَّفُوهُ".(ابن كثير، إسماعيل بن عمر تفسير القرآن العظيم ثانية ١٤٢٠هـ:(١٢٧/٥)).

(١)انظر على سبيل المثال:الرازي: مُحَمَّد بن عمر،المحصول١٤٠٠هـ،(١٠٢/١،٩٩)،والجرجاني علي بن مُحَمَّد التعريفاتأولى ١٤٠٥(ص ٢٠٠،١٩٩)،والتهانوي مُحَمَّد بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون ١٩٩٦،(٢/ ١٢١٩) فما بعد.

فالعلم الذي أوتوه إذن هو علم الكتاب الجامع للعقائد والأحكام والأوامر والنواهي والعهود.

وقوله تعالى أيضاً:﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]. أي: إن "الْقُرْآنُ آيَاتٌ بَيِّنَةٌ وَاضِحَةٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْحَقِّ، أَمْرًا وَنَهْيًا وَخَبَرًا، يَحْفَظُهُ الْعُلَمَاءُ، يَسَّره اللَّهُ عَلَيْهِمْ حِفْظًا وَتِلَاوَةً وَتَفْسِيرًا" (ابن كثير ٦/ ٢٨٦)، فالعلماء هنا هم الذين أوتوا العلوم التي دلَّ عليها القرآن من الأوامر والنواهي والعقائد والتشريعات.. .

وقوله تعالى:﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوامنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[المجادلة:١١].

فالذين أوتوا العلم هم المؤمنون العارفون الموقنون بما أنزل الله من علم الوحي، فأما إنْ كان من أهل الكتاب؛ أسلم وأذعن لدعوة القرآن لما عنده من العلم الرباني والإخلاص له، وأما إنْ كان من المؤمنين استسلم وانقاد لأمر الله تعالى.كما قال تعالى ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[سبأ:٦]، وقوله تبارك وتعالى:﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم:٤٣].(انظر ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر،تفسير التحرير والتنوير، ١٩٨٤،٢٢/ ١٤٦)

٢. المعارف المبنية على التثبت والحجَّة والبرهان:

ومن الآيات الدالّة على ذلك قوله تعالى:﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[الإسراء:٣٦]،فالعلم هنا (الْخَاطِرُ النَّفْسَانِيُّ الَّذِي لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ وَلَا غَلَبَةَ ظَنٍّ بِهِ)(ابن عاشور ١٥/ ١٠٠).، و: (الظن الذي لَا يُبنى على أساس علمي).(أبو زهرة،مُحَمَّد بن أحمد ،زهرة التفاسير، دار الفكر العربيد.ت ٨/ ٤٣٨٢).

فإنّ الله تعالى نهى عن الكلام بغير علمٍ، أي بلا حجة ويدخل في ذلك الكلام بالتصوّر والظن المجرد من البرهان، فلا بدَّ أنْ تكون المعرفة مُقترنة بدليل يناسبها، ولذلك ذكرت الآية وسائل المعرفة النافعة ومدارك الحجج، وهي: السمع والبصر والفؤاد.

ومن البراهين المطلوبة: الأدلّة القاطعة على الحجة كما في قوله تعالى:﴿وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمْ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[الجاثية:١٧]، وقوله تعالى:﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾[الشورى:١٤]، وقوله تعالى:﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ﴾[الأنعام:١٤٨].

٣. سياسة الأمور وتقدير عواقبها:

وهذا مُستفاد من سياق قوله تعالى:﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاء أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[يوسف:٧٦].فإنّ يوسف قرّر أنْ يضمَّ أخاه إليه، فدبّر الله له الأمر وعلّمه تدبير الشأن وأحوج أخوته إليه، (ما كان من شأنه أنْ يأخذ أخاه عدلاً في سلطان الملك إلّا أنْ يشاء الله بأنْ يجري على ألسنتهم ذلك الحكم، وهو أنْ يكون جزاء صواع الملك رق أخيه) (أبو زهرة ٧/ ٣٨٤٦).

ففعل يوسف ما فعل ليصل إلى ما يريد بالسياسة والحكم وتقدير العواقب، (وما من علم بتدبير الأمور إلا فوقه علم الله تعالى وهو فوق كل علم، وقد أحاط بكل شيء علماً)(أبو زهرة ٧/ ٣٨٤٦).

٤. الإسناد:

وهذا من قوله تعالى:﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف:٤].

أي بقية تؤثر، أي تسند إلى علوم الأولين فيما تدعونه، أو رواية عن الأنبياء.

(انظر: البغوي، الحسين بن مسعود، أولى ١٤٢٠ ٤/ ١٩١)

٥. المعرفة الواعية والإدراك الراشد للأمور والعواقب:

فإنَّ العلم نقيض الجهل، فكما أنّ الجهل قاعدة الغباء المؤديّة لعدم الإدراك لعواقب الأعمال، فإنّ العلم قاعدة الوعي المؤسّس للتصرُّفات المدروسة؛وهذا المعنى نجده أكثر ما جاء في القرآن بصيغة "يعلمون"، أو "تعلمون" مثبتة أو منفيّة، ويدخل في ذلك معرفة سنن الله في التاريخ والأمم الظالمة، ومن الآيات الدالّة على ما مضى:

قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ () فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ()فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل:٥٠.٥٢]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيِ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون﴾ [الأعراف:٣٢]، وقوله تعالى:﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾[التوبة:٦]، وقوله تعالى:﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىَ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٣٠]،وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[الأنعام:١٠٥].

٦. معرفة النِعم الكونيّة في السماء والأرض وكيفيّة تسخيرها للإنسان في حياته ومصالحه، ممّا يتطلّب من الإنسان تهيئة مُقدِّمات هذه المعرفة من العلوم المساعدة عليها،والاستفادة منها في استنتاج علوم أخرى:

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[الأنعام:٩٧]، وقوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[يونس:٥].

ومن الآيات التي تضمّنت معرفة النعم الكونيّة في الأرض من استقرارها وما يخرج منها من نبات ومياه وغير ذلك، قوله تعالى:﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[النمل:٦١].

وقرن الله مع معرفة نعمه في السماء والأرض نعمة لا تقلُّ أهميّة في العظمة وهي علم اختلاف نشأة اللُّغات، وعلم تاريخ الإنسان واختلاف عروقه، وهي من العلوم المتعلّقة بالإنسان خاصّة قال تعالى:﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾[الروم:٢٢].

ثمّ جاء ذِكر العلماء في سياق ذكر نعم يعيشها كل الناس، ولكن لا يُقدِّر اللهَ حقّ قدره إلّا من عرِف هذه النِعم في نشأتها وأهميّتها لحياة الإنسان وبقائه، ومعرفته بكيفيّة التعامل معها وتسخيرها قال تعالى:﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ()وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[فاطر:٢٧، ٢٨].

وجاء ذِكر العلماء . خاصّة من بين الناس . بصفة الذين يفقهون الأمثال التي يضربها الله ويُمثِّل لها في الكون من حشرات أو حيوانات أو في ذات الإنسان، لأنّهم

يعلمون دقّة تكوينها وخارطة معيشتها، قال تعالى:﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٣].

أقسام العلم من حيث الثمرة:

لا بد من التنويه بداية إلى أن تقسيم العلم له أوجه عديدة وذلك بالنظر إلى جهة مخصوصة، فمن حيث التلقي هناك علوم كسبية وعلوم وهبية، ومن حيث أدواته فهناك علوم تجريبية وعلوم عقلية وعلوم تشريعية وعقدية لا تؤخذ إلا عن طريق الوحي، وهكذا..(ينظر سعيد د. عبد الستار فتح الله، المدخل إلى التفسير الموضوعي من صـ٢١٣ حتى صـ ٢٢٣ ط دار التوزيع للنشر القاهرة، الثانية ١٩٩١).

وما يعنينا هنا تقسيم العلم من حيث الثمرة لأن هذا له أثر على مقاصد المتعلمين وتوجيه سلوكياتهم، فقد قسّم الله سبحانه العلم من حيث ثمرته ونتيجته وأثره في الإنسان إلى قسمين:

الأوّل:العلم النافع:

والعلم النافع هو العلم الذي يجعل القلب مخبتا خاضعاً مسلماً لله تعالى راضيا بما شرعه، وهو الذي يُكسِب حامله نوراً يتسلّح به ليفرق بين الحق والباطل، ويُقدِّر عواقب الأمور، قال تعالى:﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الحج:٥٤].

وقال تعالى:﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾[القصص:٨٠].

وقال تعالى:﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[الروم:٥٦]

الثاني:العلم الضار:

وهو عندما يكون العلم والجهل بمنزلة واحدة، عندها يودي العلم بصاحبه إلى الخسارة والضلالة والهلاك ؛ تماماً كما يفعل الجهل بصاحبه من الغرور والتكبر، قال

تعالى:﴿فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون﴾[غافر:٨٣].

ويكون العلم ضارا بصاحبه عندما يفتتن بعلمه فيعظم في نفسه وينسى خالقه ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٤٩].

ويكون ضارا بصاحبه عندما يجعل عدم درايته ومعرفته بأمر دليلاً على خطأها أو شكاً بمصداقيتها، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩]

النتيجة:

فيتحصّل لنا ممّا مرّ معنا في عرض الآيات حسب ما تدل عليه أنَّ العلم الذي نوه به القرآن وحفلت به آياته يشمل كل معرفة تنكشف بها حقائق الأشياء وتزول به غشاوة الجهل والشك عن عقل الإنسان سواء كان موضوعه الكون والطبيعة؛ أمْ كان موضوعه الإنسان أو الوجود بأسره أو كان موضوعه الغيبيّات، وسواء كانت وسيلة معرفته الحس والتجربة أمْ كانت وسيلته العقل والبرهان أو كانت وسيلته الوحي والنبوّة.

كما أنّ العلم يُطلق أيضاً –كما دلّت الآيات– على إدراك عواقب الأفعال وتقدير أخطارها ومنافعها وكيفيّة سياسة الأحداث واستخدامها، كما سمى القرآن الدلائل والحجج المختلفة الدالة على الحق علماً. كما أنّ القرآن لمْ يفرق بين أنواع العلوم مع كثرتها بأنّ هذا دنيوي وهذا أخروي، ولم يُصنِّف العلماء على هذا التفريق؛ممّا يُقرّر شموليّة الإسلام وتكامله في أحكامهوتصوّراته عن الكون والحياة والإنسان، وحميميّة الارتباط بين فطرة الكون المخلوق، وفطرة الأحكام المفروضة، ولكنّنا نجد القرآن يُقسِّم العلوم إلى ضارّة ونافعة فالعبرة ليست بذات العلم فقط، بل بمجال استخدام هذا العلم وأثره على الإنسان والمجتمع والله أعلم.

ولكن ينبغي أنْ نُقرِّر أنّ الآيات القرآنيّة حفلت بمديح العلماء الذين حملوا علم الأنبياء الذي أرسلوا به لسعادة الدنيا والآخرة، فهذا العلم له الشرف الأول والصدارة،

من عقيدة وشريعة، فهو علم الأنبياء، وحملته هم وراث الأنبياء، وشرف هذا العلم لا على سبيل التباين عن العلوم الأخرى التي دلّ عليها القرآن؛ بل لشرف مُتعلقها وإحاطة أحكامها بكل أفعال المكلفين، فكل العلوم على اختلافها خادمة ومُنقادة ومُنضبطة بعلم الوحي، والأحاديث الدالة على شرف علم الوحي كثيرة، نذكر منها حديث معاوية ﷺ عن النبي ﷺ قال: (مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ..) الحديث (أخرجه البخاري مُحَمَّد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين رقم (٧١) ١/ ٣٩، والنيسابوري مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة رقم (١٠٣٧) ٢/ ٧١٨).

ولو لمْ يرد غير هذا الحديث لكفى به دلالة على شرف علم الفقه في الدين.

المبحث الثاني: أثر مفهوم العلم في نهضة المسلمين الحضاريّة:

لمْ يكن للعرب عهد بالعلوم قبل الإسلام إلّا بما تحتاجه حياتهم من علوم مخصوصة، كعلم الأنساب وعلم النجوم والأنواء – من أجل العِرافة لا لأجل الفلك –، وعلم الرؤيا، وشاعت بينهم الخرافات والتصورات الغريبة على الواقع والفطرة.(ينظر الشريقي د. إبراهيم ، التاريخ الإسلامي خلال أربعة عشر قرناً، الثانية ١٩٧١ ص ٢٣، السيد زغلول د. الشحات، الاتجاهات الفكريّة في التفسير، الثانية ١٣٩٧هـ ص١٠٧).

ولما نزل القرآن وحالتهم هذه أحدث فيهم تغييراً جذريّاً في المفاهيم والتصوّرات، وكانت هذه المفاهيم والتصوّرات الجديدة أساس البناء المعرفي للعقيدة الإسلاميّة، كما كانت أساس البناء الحضاري لمستقبل المسلمين، فإنّ عنوان رسالة الإسلام في أول ما نزل على النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ [العلق: ١ – ٥]، فقد جمعت هذه الآيات ثلاثة أُسس سيُبنى عليها الشخصيّة الإسلاميّة التي تحمل الرسالة إلى العالم، وستُبنى عليها أركان النهضة الحضاريّة للمسلمين، أمّا **أحدها فهو** (اقرأ) فهي مدخل العلم نزلت على قوم أُميَّين لا يعرفون

القراءة، فنزلت بصيغة الأمر المحتّم على أصحاب الرسالة أنْ يتعلَّموا القراءة وينفتحوا على العلوم.

أَمّا الأساس الثاني: فهو ارتكاز هذا التعلم على أركان عقديّة، هذه الأركان العقديّة هي القالب التي تضبط التصوّرات العلميّة وآليّات الاستخدام، فالله الذي سينزل الكتاب،هو الذي خلق الكون والإنسان وهو يأمرهم بقراءة هذا الكون من خلال قراءة الكتاب المنزل، يأمرهم.

أمّا الأساس الثالث: فهو محل القراءة والتعلم وابتداؤه في توجيه النظر في المخلوقات والموجودات وخاصّة خلق الإنسان خلقاً عجيباً من علقة، وهذا مبدأ التعلم، بأنْ يكون بالتدرج من الابتداء ثم التدرُّج.

وهكذا بدأ تأسيس مفهوم العلم في الإسلام وبناء المفاهيم العلميّة، ثم توالت الآيات التي تدل على هذا المعنى للعلم تتنزل مع الآيات التي تتحدّث عن خلق الإنسان وخلق الكون، بل مِنها ما كان مدلول العلم مُذيّلاً بالآيات الكونيّة وأنواع الدواب وتسيير الرياح والسحاب كما تقدّم، لتشكل في مجموعها زخماً معرفيّاً يُحرّك مكامن العقول ويستفزّها نحو التفكر والبحث.

والسؤال المطروح: هل كان هذا المعنى حاضراً عند المسلمين الأوائل، وهل كان له أثر فيهم وفي من بعدهم؟.

والجواب: نعم، لقد كان هذا المعنى مُستقرّاً في نفوس الرعيل الأول من المسلمين، ويدل لذلك آثار وردت عنهم تُبيّن إدراكهم لرسالة القرآن الحضاريّة والتي يُعد العلم أحد أركان نهضتها، فمن الدلائل على إدراك سلفنا الصالح لمعنى العلم في القرآن؛ إدراكهم أنّ القرآن جامع للعلوم، يقول ابن مسعود ﷺ: (من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبّر القرآن.) (أخرجه سعيد بن منصور انظر: السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، د. ت ٢/٢٢٦، وقال الهيثمي: رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح، الهيثمي نور الدين مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر بيروت ١٤١٢، ٧/ ٧٩).

ويقول مسروق رحمه الله: (من سرّه أنْ يعلم علم الأولين والآخرين وعلم الدنيا والآخرة فليقرأ سورة الواقعة).(ابن أبي شيبة، المصنف، أولى ١٤٠٩هـ (١٤٨/٧) قلت: ورجال إسناده إليه ثقات إلا عبيدة بن حميد تكلم فيه بما لا ينزل حديثه عن الحسن، و الذهبي في سير أعلام النُبلاء، ١٤١٣هـ ٤/ ٦٨)

ولهذا المعنى فإنّ من البديهي أنْ يتكلّم سلفنا الصالح بعلوم كونيّة مُختلفة استناداً إلى القرآن الكريم مع أنّ هذه العلوم كانت من الغيبيّات عليهم، كما أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم يُحدِّثُهم عن معارف القرآن الكونيّة كأول الخلق وعالم الأكوان، ولذلك كانت معرفتهم بسنّة النبي صلّى الله عليه وسلّم، وسليقتهم العربيّة ومُعاينتهم التنزيل مستنداً في فهم معاني كتاب الله تعالى واستنباط العلوم، ومن ذلك يقول "ابن عبّاس ﷺ في قوله تعالى: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾[الإنسان:٢](يعني: ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا، ثمّ ينتقل بعد من طور إلى طور، وحال إلى حال، ولون إلى لون). وهكذا قال عِكرمة، ومجاهد، والحسن، والربيع بن أنس: الأمشاج: هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة". (ابن كثير ٨ / ٢٨٥).

كما أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم يبين معاني القرآن، فكان من بيانه صلّى الله عليه وسلّم أنّه كان يؤسّس القواعد المعرفيّة للمسلمين لتحصيل العلم على المعنى السابق من خلال:

بيان فضل العلم على المعنى السابق الشامل والحث عليه كما في حديث أبي هريرة (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ)(الترمذي في جامعه كتاب العلم عن رسول اللهﷺ، باب فضل طلب العلم رقم ٢٦٤٦ وحسنه ٢٨/٥، و ابن حنبل، أحمد،المسند، أولى ٢٠٠١ رقم ٨٣١٦ ، ١٤/ ٦٦)

فجاء لفظ العلم مُنكراً ممّا أفاد العموم ليؤكد المعنى العام الذي دلّ عليه القرآن للعلم.

أ- بيان حُكم الاستفادة من معارف غير المسلمين: فلمّا كان معنى العلم شاملاً عاماً –كما تقدّم – فإنّ طلبه يقتضي الرحيل والاستفادة من غير المسلمين، فالعرب كما تقدّم لمْ يكن لها سابقة عناية بالعلوم، فبيّن النبي صلّى الله عليه وسلّمحكم

الاستفادة من معارف غير المسلمين، ومن ذلك: الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث عائشة ﵂ عَنْ جُدَامَةَ بِنْتِ وَهْبٍ أُخْتِ عُكَّاشَةَ قَالَتْ: حَضَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي أُنَاسٍ وَهُوَ يَقُولُ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنْ الْغِيلَةِ فَنَظَرْتُ فِي الرُّومِ وَفَارِسَ فَإِذَا هُمْ يُغِيلُونَ أَوْلَادَهُمْ فَلَا يضُرُّ أَوْلَادَهُمْ)(مُسلم في كتاب النكاح باب جواز الغيلة رقم ١٤٤٢، ٢/ ١٠٦٦)[1].

وفي حديث آخر عن أُسامة بن زيد أنَّ رجلاً جاء إلى النبيﷺ فقال:إِنِّي أعزل عن امرأتي، فقال له رسول الله ﷺ: لم تفعل ذلك؟ فقال الرجل:أشفق على ولدها، فقال رسول اللهﷺ: لوكان ذلك ضاراً ضر فارس والروم—وفي لفظ:إنْ كإن لذلك فلا ، ماضار ذلك فارس ولا الروم). (مسلم في صحيحه، كتاب النكاح باب جواز الغيلة رقم ١٤٤٣، ٢/ ١٠٦٧).

يقول النووي: (قَالَ الْعُلَمَاء: سَبَب هَمّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ بِالنَّهْيِ عَنْهَا أَنَّهُ يَخَاف مِنْهُ ضَرَر الْوَلَد الرَّضِيع، قَالُوا: وَالْأَطِبَّاء يَقُولُونَ: إِنَّ ذَلِكَ اللَّبَن دَاء وَالْعَرَب تَكْرَههُ وَتَتَّقِيه).(النووي،شرف الدين،المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج١٣٩٢هـ١٠/١٦)

ومن المعلوم أنّ الروم وفارس كانتا أعلم بكثير من العرب في أمور الطب، ولذلك يقول المناوي في فيض القدير: (يعني لو كان الجماع أو الإرضاع حال الحمل مضرا لضر أولاد الروم وفارس، لأنّهم يفعلونه مع كثرة الأطباء فيهم فل وكان مضرا لمنعوه منه فحينئذ لا أنهى عنه).(المناوي، مُحَمَّد عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير ١٤١٥هـ ٣٥٧/٥).

فاحتجَّ النبي صلّى الله عليه وسلّم على عدم الضرر بعمل الروم وفارس لكونهم أعلم بالأمور الطبيّة، وفي ذلك بيان منه صلّى الله عليه وسلّم لجواز الاستدلال بعلوم غير المسلمين، والاستفادة من علومهم التجريبيّة في تقرير الأحكام الشرعيّة، التي هي توقيع عن رب العالمين، وفي ذلك بيان للتكامل المعرفي في الإسلام، وتأسيس لمعنى الانفتاح

(١)- قال ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث ١٣٩٩هـ، (٣/ ٤٠٢): (الغِيلَة بِالْكَسْرِ: الِاسْمُ مِنَ الغَيْل بِالْفَتْحِ، وَهُوَ أَنْ يُجَامِعَ الرجُل زوْجَته وَهِيَ مُرْضِع، وَكَذَلِكَ إِذَا حَملت وَهِيَ مُرْضِع).

الحضاري العالمي الذي سيشهده المسلمون بالبحث والتجربة والبرهان مع فتح البلدان العالميّة، فينضم هذا إلى معنى العلم في القرآن ليكونان أساسين من أُسس النهضة الحضاريّة للمسلمين.

ولمْ يقتصر تشريع النبي صلّى الله عليه وسلّم لأصحابه أصول الانفتاح العلمي على الآخرين بهذا الحديث – أعني حديث الغيلة – فقط، بل ثمّة مواقف عديدة تقرر هذا المعنى، فعندما أشار سلمان ﷺ بحفر الخندق، وكانت هذه مكيدة لا تعرفها العرب، لمْ يقل له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنَّ هذا لم يوح إليّ، أو يخالف شريعتنا، بل عمل بها وطبقها، وكذلك لما أراد صلّى الله عليه وسلّم إرسال رسائل للملوك وقالوا له: إنّ الملوك تقرأ الرسائل بأختام، فاتّخذ خاتماً ولمْ يكن ذلك معروفاً لدى العرب. (انظر: الكتاني، مُحَمَّد عبد الحي، التراتيب الإداريّة، الثانية١/ ١٧٠).

وهذا أصل في الاستفادة من غير المسلمين في العلوم الإداريّة المنظمة لشؤون السياسة وغيرها.

نعم ؛ لقد كان فهم سلفنا الصالح لهذا البيان القرآنيوالنبوي من أسباب الانفتاح على العلوم المختلفة عند الفتوحات الإسلاميّة على أيد الصحابة والتابعين ﷺ، إذْ لم ينطوِ المسلمون على أنفسهم أمام المدارس العلميّة في البلاد المفتوحة بحجّة أنهم كفار، ولم يهملوها بحجة التعارض بين العلم والدين، بل انكبوا عليها انكباب النهم يقرأون ويمحصون، ثمّ ما لبثوا حتى بدأ النشاط العلمي يتصاعد خاصّة في العصر العباسي، إذْ تعددت مراكز البحث العلمي في القرنين الثالث والرابع الهجري، ونشطت حركة التعريب، ولمْ يقتصر هذا التعريب على نقل العلوم من اللغة اليونانيّة أو غيرها إلى اللغة العربيّة؛ ولمْ يكنْ المسلمون فيها مُجرّد ناقلين شارحين؛ بل أعادوا هذه العلوم إلى الحياة مرّة أخرى بثوب جديد بعد هضمهاوصقلها بالثقافة الإسلاميّة واللبوس العقائدي دون

استسلام لما فيها[1]، فتحولت مُسلّمات هذه الأمم إلى مادّة تجريبيّة أحدث علماء المسلمين في أصولها وجذورها انقلاباً علميّاً وفكريّاً، ثُمّ حوّل المسلمون هذه البلاد المفتوحة إلى معاقل علميّة، ومدارس فكريّة وظهرت في هذه الفترة الأبحاث العلميّة المختلفة على أيدي علماء المسلمين التي أسّست علوماً كونية مُتعدِّدة بشكل عملي بعد أنْ كانت فلسفة ونظريّات في كتب اليونان كعلم الكيمياء والبصريّات والطب والتشريح والفلك. . . وغير ذلك.(انظر: شلبي، د. أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلاميّة،١٩٨٢م، ٢٤٦/٣، و فروخ، د. عمر، تاريخ العلوم عند العرب، ١٤١٠هـ، ص ٤٨٧، الكافي، د. عبد الكريم، بحث: دور التعريب في تأصيل الثقافة الذاتيّة العربيّة، مجلة التراث العربي العدد (١٣، ١٤) ١٩٨٤م ص ٢١٥).

وعلى سبيل المثال، فإنّعلم الكيمياء كان موجوداً لدى قُدماء المصريّين، ثم ورثه عُلماء اليونانلكنه بقي نظريّة وفلسفة، حيث كانوا يؤمنون بأنّ أساس جميع الموجودات واحد، فيُمكن تحويل الرصاص إلى ذهب والحديد إلى فضة، وقد خالط هذه الفلسفة الخرافات والشعوذة، فقام عُلماء المسلمين بتحريرها من ذلك، وقاموا بتطبيق هذه النظريّة وتبديل الفلسفة إلى علم الكيمياء، وزادوا على ذلك صناعة الأدوية. (انظر: الدفاع، د. علي عبد الله، إسهام علماء العرب والمسلمين في الكيمياء، ١٤٠٥هـ ص٢٦، وص ٣٤، ٣٥).

وقد ظهرت العناية بهذا العلم في وقتٍ مُبكر جداً على يد حكيم آل مروان الأمير خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٨٥هـ)، إلّا أنّ هذا العلم انطلق ونما حتى وضع قواعده العلميّة في العصر العباسي العالم الفيلسوف الكيميائي جابر بن حيان (ت ٢٠٠هـ)، فألف أكثر من مئتي مؤلف في ذلك ترجم بعضها إلى اللاتينيّة.(انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام،٢٠٠٢م ٢/ ١٠٣).

(١)- لا ينكر أثر هذا التعريب في العلوم الفلسفيّة على علم العقيدة ونشوء الفرق التي قدّمت العقل على النقل كالمعتزلة، ولكن درس أهل السنة هذه العلوم وحاكموها وأتقنوا الرد على المعتزلة والفلاسفة من خلالها.

أمّا علم الفلك فمع قِدَم العناية به فإنّ علماء المسلمين صحّحوا كثيرا من الأخطاء التي وقع فيها علماء اليونان والفرس والهنود في مجال علم الفلك، مُعتمدين في ذلك على المراصد الفلكيّة التي لم يسبق علماء المسلمين أحد إلى مثلها، ومستفيدين من دراستهم لعلم الرياضيّات النظري والتطبيقي، ولذلك كانت أغلب نتائج علماء المسلمين في الفلك يدورحول النتائج الرياضيّة بالإضافة إلى الملاحظات التي قيّدوها في مُتابعة المراصد، وإنّ التاريخ ليشهد لعلماء المسلمين إنجازاتهم في حفظ وتصحيح وتطوير والزيادة في مؤلّفات القُدماء في علم الفلك، كما سيشهد لهم الإنجازات الكثيرة التي يعتمد عليها العالم الحديث الآن.(انظر: الدفاع د. علي عبد الله، رواد علم الفلك في الحضارة العربيّة الإسلاميّة، ١٩٨٢م، ص ٢٣ فما بعد)

وفي علوم: الجبر، والجراحة، وخريطة العالم، والبوصلة، واكتشاف الدورة الدمويّة، وقوانين النور، وانكسار النور، وانعطاف النور. . . ومئات من الاكتشافات العلميّة، كان من إنتاج المسلمين، ولو أردنا استقصاء دور علماء المسلمين في علوم الحضارة لاحتجنا في ذلك إلى مُجلدات، ولكن تكفينا الإشارة إلى ذلك للتدليل على مُرادنا[١].

إنَّ اهتمام علماء المسلمين بالعلوم المختلفة وتطويرها ناتج عن ارتباط هذا العلوم بعبادات المسلمين وأحكامهم، وبذلك ندرك الأثر الشرعي في توسع العلوم الكونيّة.

فلا غرو إذن في أن يكون هذا المفهوم الشمولي الذي وعيه المسلمون للعلم، وممارستهم للتكامل العلمي هو أساس نهضتهم وتحقيق استخلافهم في الأرض.

المبحث الثالث: الحالة العلمية في أوربا وأثرها في تغيير مفهوم العلم:

---

(١)- وللتوسع ينظر الكتب الآتية إضافة إلى ما تقدّم: الكتب الآتية لـ: الدفاع، د. علي عبد الله من مؤلّفات: إسهام علماء العرب والمسلمين في علم الحيوان، ط مؤسّسة الرسالة، أولى ١٤٠٦، أعلام العرب والمسلمين في الطب، ط الرسالة، أولى ١٤٠٣، أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك، ط الرسالة، أولى ١٤٠٥.

وكذلك ما كتبه د. الدفاع بالاشتراك مع الدكتور جلال شوقي: أعلام الفيزياء في الإسلام، ط الرسالة، الثانية ١٤٠٦، وبالاشتراك مع الدكتور زغلول النجار: إسهام علماء المسلمين الأوائل في تطوير علوم الأرض، ط: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٩هـ.

يحسن بنا في هذا المبحث أن نتحدّث عن الحالة العلميّة في أوربا في أثناء التسارع الحضاري في العالم الإسلامي، لنكون على دراسة بمراحل تطور مفهوم العلم وأثر تغييره على المسار العلمي في العالم عموماً والعالم الإسلامي خصوصاً.

ولئن سألت عن حال أوربا في أثناء الازدهار الحضاري والنهضة العلميّة الإسلاميّة؛ فإنّها كانت غارقة في صراعها بسبب تضارب التيارات الفلسفيّة بمذاهبها وأفكارها وتصوراتها واختلافها في الأسس، وتباينها في المفاهيم، وكان الصراع يبلغ أشدّه بين أصحاب النزعات المختلفة (الماديّة، العقليّة، والطبيعيّة، والوضعيّة. . .)، وكل منهم يعطي تصوره عن الحياة والكون والإنسان بدلائله وبراهينه الخاصّة به مسفهاً حجج الآخرين، وكان كل مذهب يدعي امتلاك الحقيقة ولا يقر لغيره بالوصول إليها.(انظر: الزبيدي د. عبد الرحمن بن زيد،مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي،المعهد العالمي الإسلامي د.ت ،ص٥ إلى ٧)

نعم: هذا في الوقت الذي كان فيه المسلمون منهمكين بالتعريب وتهذيب العلوم وتقعيدها ومنهمكين بالابتكار والاكتشاف، وبرعوا بذلك في ميادين العلوم والأدب مما أذهل الغربيين حين أفاقوا من سباتهم، ثمّ أرادوا أن يحتذوا حذو المسلمين ويقلدوهم وينقلوا علومهم ومعارفهم ويلحقوا بغبار موكب حضارتهم؛ فوجدوا أنفسهم ـ لما طفقوا ينهضون ـ في عجز عن مُحاكاة المسلمين، وبلوغ شأوهم؛ "ونعرف ذلك من خلال الفقرات التي كتبها شاعر إيطاليا الكبير (بترارك١٣٠٤، ١٣٧٤م) في غضون القرن الرابع عشر الميلادي يندد في شعره ببني قومه ويستنهض هممهم ويهيب بهم ويبث في أنفسهم الثقة والعزيمة فيقول:

(ماذا؟ لقد استطاع شيشرون أن يكون خطيباً بعد ديمستن، واستطاع فرجيل أنْ يكون شاعراً بعد ميروس، وبعد العرب لا يسمح لأحد بالكتابة، لقد جارينا وتجاوزناهم أحياناً وبذلك جارينا وتجاوزنا غالبية الأمم، وتقولون: إننا لا نستطيع الوصول إلى شأو العرب، ياللجنون ويا للخيال بل بالعبقريّة إيطاليا الغافية أو المنطفئة).(الكافي، د. عبد الكريم، بحث: دور التعريب في تأصيل الثقافة الذاتيّة العربيّة مصدر سابق ص ٢١٨).

ثمّ كان للكنيسة المسيطرة على أوربا دوراً رئيساً في زيادة حدة الصراع بين العلم والدين خاصّة في عصر النهضة عندما حرمت العلم، وما كانت تُمارسه من طغيان وقسوة ومصادرة للحريّات وإحراقاً للكتب وإنزال أقصى العقوبات وأشدها بالمفكرين والعلماء بحجة أنهم يخالفون تعاليم الدين وأفكار الكنيسة ومبادئها المتمثلة برجالاتها. . . خاصّة في عصر النهضة أو (الرينساس) في القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلادي.(انظر: عتر د. نور الدين، فكر المسلم وتحديّات الألفيّة الثالثة، دار الرؤى د. ت، ص ٣٣٣، ٢٣٤).

وتُعتبر نظريّة (كوبرنيك) نسبة لـ نقولا كوبرنيك (١٤٧٣، ١٥٤٣م) بداية التحول القوي والثورة الشديدة في التصور الغربي للكون ومكان الفرد فيه، حتّى سُميّت بالثورة الكوبيرنكيّة، وكان هذا التصور الكوبيرنكي الجديد غريباً عمّا ألفته الكنيسة وأوربا بأوساطها الثقافيّة والفلسفيّة، ويكون كوبرنكس بذلك قد ثار على معارف الكنيسة ومُسلّمات الكتاب المقدس والآراء اللاهوتيّة المعتمدة.(انظر: توبي. أ. هف، فجر العلم الحديث: الإسلام، الصين، الغرب، ٢٠٠م ص ٣٥٣ إلى ٣٥٥).

ثمّ فجّر كارل ماركس (١٨١٨، ١٨٨٣م) هذه الثورة على الكنيسة في تفسيره المادي للتاريخ، وعزّز موقفه تشالز داروين (١٨٠٩هـ/١٨٨٢م) بما تضمّنه كتابه أصل الأنواع من نظريّات وتصوّرات.

وفي ظل هذه الثورة على الكنيسة والانفجار العلمي في أوربا انتقل العلم إلى حيّز مادي محصور بالتجربة والمشاهدة أو الملاحظة والتفسير. وصار العلم تابعاً للعمليّة الآتية:أنْ يرصد الإنسان مادة كونيّة خاضعة لحاسّة من حواسه ثمّ يمارس التجربة تلو التجربة حتّى يستل من هذه التجربة رصيداً ثمّ يجعل من هذا الرصيد قانوناً، نعم هذا العلم الذي اخترع معناه في عصر النهضة. (انظر: البوطي، د. مُحَمَّد سعيد، يُغالطونك إذْ يقولون، الفارابي د. ت(ص ١٣٩).

ثمّ اعتبر كل ظاهرة ماديّة ليس لها تفسير علمي بالمعنى السابق فهو مرفوض وخرافة ومن جملته الدين والغيبيّات، وكان المقصود دين الكنيسة.

"غير أنّنا نُدرِك في الوقت نفسه أنّ هذه الثورة ثارت في الغرب فقط وليس في البلاد الإسلاميّة أو الصين، وهذه الحقيقة تجعل الكثيرين يتساءلون عن العوامل الاجتماعيّة والثقافة الفريدة التي وجدت في الغرب ومكّنت هذا التحول العظيم من الحدوث، فمن المتفق عليه الآن بشكل عام أنّ التصوّر الكوبيرنيكي الجديد للكون لمْ يقم على ملاحظات جديدة مذهلة أو أساليب رياضيّة جديدة لم تكنْ معروفة لدى العرب". (انظر: البوطي، د. مُحَمَّد سعيد، مصدر سابق ص ٢٥٤).

أقول: كان ينبغي أيضاً السؤال عن العوامل الاجتماعيّة والثقافيّة وغيرها التي سادت البلاد الإسلاميّة فلم تحدث فيها هذه الثورة العلميّة، ولم ينقلب الناس على دينهم كما في أوربا، فلم اليوم نجد من يضرب بالدين عرض الحائط ويلفق الشبه حوله ويرده بحجة العلم، ولم سيطرت هذه الفكرة على عقول كثير من أبنائنا وانطلت عليهم الشبه وانخرطوا في دوامتها؟!.

أقول: إنّ مرحلة الجمود التي مرَّ بها العالم الإسلامي في أواخر العهد العثماني—كما سنبينه في المبحث الآتي – وانقطاعه عن مستجدات العلوم والبحث العلمي أبعدت الناس كثيراً عن جوهر الدين، فالاحتكاك بأوربا وغيرها من شعوب العالم لم يكن جديداً على المسلمين، بل كان أشدُّ وأخطر في نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي عهد الفتوحات الإسلاميّة، فقد حصلت المواجهات العلميّة والاختلاط بمجتمعاتهم وتعرض المسلمون لحملات الزندقة والإلحاد وأخذت هذه الحملات صوراً متعدِّدة وغالباً ما كانت تعتمد على الجدل تحت التصور العقلي والمنطقي.(انظر: عثمان د. عبد الكريم،معالم الثقافة الإسلاميّة، ١٤٢٠هـ ص ٩٢ فما بعد).

ولكن لم يحصل التأثير والانبهار الذي أثر بالمسلمين اليوم أو في القرن الماضي والذي قبله، ولم يفعل المسلمون في تلك العهود ما يفعله اليوم المتأثرون بالغرب أو المتعصرنون!! فما السبب؟.

أرى أنّ الجواب المناسب لهذه الأسئلة هو:إنّ العافية الإيمانيّة والصحة العقليّة والفكريّة، والثقة بالنفس وقوّة الشخصيّة عند المسلمين آنذاك كانت تجعلهم يرون كل ما

أمامهم من الظواهر والعلوم أمراً بديهياً، وذلك أن الفهم السليم لمدلول العلم في القرآن وشموليّته، وما يعلمونه من حضَّ الإسلام على العلم لما له من أهميّة في تطور حضارتهم، و ما أشار الله إليه من الحقائق والظواهر الكونيّة ؛ كل ذلك جعلهم يألفون كل ما يرونه وما يسمعونه من العلوم، لأنّ مبادئها مطروقة في أسماعهم مستقرّة جملة في عقولهم، ولم يجدوا حرجاً من البحث والتجربة في نواحي العلم بحجّة أنّ دينهم ينهاهم عن ذلك أو أنّ هذه علوم لا علاقة لهم بها، بل اجتهدوا . بما أوتوا من قوّة . في نواحي العلم؛ لاعتقادهم أنّ ذلك يقربهم من الله تعالى وأنّهم بهذا الاجتهاد يقيمون شرع الله، ويرفعون إثماً عن أنفسهم وعن المسلمين، فلم تمنعهم معرفتهم بأطوار خلق الجنين التي استقوها من القرآن . في وقت كانت تصوّرات الروم وفارس مغلوطة في هذا الشأن . لم تمنعهم من التشريح والتحصيل والتدقيق، فوجدنا من العلماء المسلمين من برع مع العلوم الشرعيّة باختصاصات علميّة متعدِّدة لهم فيها مؤلّفات، بل منهم من كان بارعاً بأكثر من اختصاص كوني: كالحسن بن الحسن بن الهيثم (٣٥٤، ٣٠هـ)، ، وموسوعة العلوم أبو بكر مُحَمَّد بن زكريا الرازي (حوالي ٢٥٠، ٣٢٠هـ)، وأبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (٣٧١، ٤٢٨هـ)، وكمال الدين بن مُحَمَّد بن موسى الدميري الفقيه عالم الحيوان (٧٤٥، ٨٠٨هـ)، وأبو عبد الله عز الدين مُحَمَّد بن أبي بكر بن جماعة (٧٤٩ – ٨١٩ هـ) الذي برع بعلوم الفقه والأصول واللغة والبيان وعلم النفط والطب والرمح، وغيرها من العلوم، . . . ، ثم لم يستخدموا هذه العلوم في مناقضة الدين أو الإسلام؛ وإنما استخدموه في شرح كتابه سبحانه وتعالى؛ لا على سبيل التوفيق بين العلم والدين—كما يفعل بعض عصريينا – بل على سبيل أنّ كل العلوم مفسرة للقرآن مبينة لعظمة الله وموضحة لحكمة الخالق، والله أعلم.

المبحث الرابع: أثر تغير معنى العلم على الحياة الحضاريّة للمسلمين:

لقد بقي الحال في العالم الإسلامي على هذا المنوال—في التقدم الحضاري والنهضة العلميّة – فترات طويلة، واستمرتالحركة العلميّة والبحث العلمي في نشاط ورقي مع تفاقم الأحوال السياسيّة في بعض العهود الإسلامية المتعاقبة بعد العباسيين، بلغ تميُّز

عصر المماليك بأنّه عصر الموسوعات العلميّة، ثمّ ما لبثت أنْ توقّفت هذه الحركة العلميّة تدريجيّاً وخاصّة في أواخر العهد العثماني، فكانت الصبغة الغالبة والعامّة على هذا العصر الجمود والركون إلى مؤلّفات السابقين، والاعتماد على ما فيها دون بحث أو تمحيص. ، واستمر حتّى بدأ الضعف يتسلّل للخلافة العثمانيّة ثم التقهقُر، ثم الانهيار ثم سقوط الحكم العثماني وإبعاد الخلافة الإسلاميّة عن الساحة الدوليّة وكان ذلك من عام ٩٧٤ إلى عام ١٣٣٧ هـ أي بعد وفاة السلطان سليمان الأول القانوني أو المنظم سنة (٩٧٢هـ).(انظر: الوذينان د.خلف دبلان، الدولة العثمانيّة والغزو الفكري،١٤٢٤هـ،ص ١٥٢ إلى ص ١٧٥).

إذْ لما كانت الخلافة العثمانيّة في قوّتها ومنعتها ترفرف أعلامها في أوربا عزيزة؛ كانت الحركة العلميّة في عهدها تنعم بما بقي من الحركة العلميّة النشطة التي كانت في عصر المماليك ومن قبلها العباسيّين، وخاصّة في بدايات العثمانيّين، وكانت أوربا آنذاك ما تزال تعيش في ضعف علمي وفكري، وفي حالة نفسيّة مزرية، عنوانها الشعور بالضعف أمام قوة المسلمين بكل معانيها العلميّة والعقائديّة والعسكريّة، فلم تكن لديهم قوة المجابهة بكل أنواعها أمام المسلمين والهجوم الفكري عليهم خاصّة وأنّهم ما يزالون ينهلون من علوم المسلمين الذين فتحوا بلادهم.(انظر: شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي، ١٤٢١هـ ١٢/٨).

ولا يعني هذا عدم وجود نشاطات علميّة، ولكن هذه النشاطات يختلف ازديادها وضعفها حسب الزمن والمكان والأشخاص، فقد انتشرت المدارس والزوايا والمساجد التي تنشر العلم حتّى غدت مراكز ثقافيّة، ولا أحد ينسى الأزهر الذي واصل الرسالة في نشر العلم والإسلام وتخريج الطلبة والعلماءويرعى كل العلوم الإسلاميّة ويحرس المسلمين وبلادهم.

وكذلك لا ينكر وجود علماء برعوا في عهد العثمانيين في مجالات علمية مختلفة مع العلوم الشرعية كالهندسة والميقات والهيئة و الحيوان والنبات. . . ويذكر من هؤلاء العلماء: الشيخ رضوان الفلكي (١١٢٢هـ . ١٧١١ / م)، عالم الهيئة والفلك الذي

استطاع أن يرسم الأرض على شكل كرة من النحاس الأصفر ونقش حولها الكواكب المرصودة، وله كتب عديدة.

والشيخ عبد المنعم الدمنهوري (١١٩٢هـ/١٧٧٨م) الذي برع في المنطق والهندسات والحساب والميقات والهيئات والمساحة وعلم الحيوان والنبات.

والشيخ عبد الرحمن الجبرتي المشهور (ولد عام ١١٦٧ هـ) صاحب كتاب (عجائب الآثار في التراجم والأخبار). ولكن نلاحظ أن تاريخ هؤلاء العلماء في أواخر الدولة العثمانية.(وينظر للتوسع في دراسة الناحية العلمية في العصر العثماني: شلبي د. أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ١٩٧٧م ٣٠٣/٥ إلى ص ٣٣٤، و٣٣٨/٥، إلى ص ٣٤٥)، وأحمد د. ليلى عبد اللطيف، دراسات في تاريخ ومؤرخي مصر والشام إبان العصر العثماني، الخانجي، ص ١٩٤ إلى ص ١٩٨).

ولكن لما كانت الدولة العثمانية دولة عسكرية بالدرجة الأولى، وكانت تعنى بتقوية جيشها وقوة سلاحها وتنظيم كتائبها لتحافظ على وحدة الولايات الإسلامية وتزيدها، فإن ذلك سبب انخفاضاً في نسبة عناية العثمانيين بالقضايا العلمية وإعطائها الأهمية البالغة ودعمها أكثر، ومتابعة المستجدات العلمية في العالمونقل أخبارها لعلماء المسلمين، على غرار ما حصل في العصر العباسي، فبقيت الأساليب العلمية على طريقتها الأولى لم ينلها شيء من التطوير.(انظر:شاكر، محمود التاريخ الإسلامي (١١٩/٨)، و:المحتسب د.عبد المجيد،اتجاهات التفسير في العصر الراهن،١٤٠٢هـ،ص ٦).

وبذلك وقف المسلمون مكانهم لا يتقدمون، وبدأت عزلة العلماء والمسلمين عن العالم وتطوراته، وظهر أثر هذا الجمود والركود جلياً في عصر الضعف للدولة العثمانية.

أما أوربا فكانت تكسب الوقت في النهضة للبحث في مختلف ميادين العلم، مما زاد من سرعة تقدمها، ثم تم اكتشاف رأس الرجاء الصالح الذي كان له الأثر على ثراء أوربا وتطورها مادياً، واستفادت من احتكاكها بالمسلمين في الأندلس وصقيلية والإفادة من أبحاث العلماء المسلمين والتلقي عنهم، هكذا إلى أنْ جاء الوقت الذي تعادلت فيه

الكفتان (كفة المسلمين وكفة أوربا)، ثم ما لبثت أنْ رجحت كفّة أوربا النصرانيّة على كفة المسلمين.(انظر: شاكر محمود التاريخ الإسلامي مصدر سابق ١٢/٨).

وممّا زاد في الأمر سوءً أن طلاب العلم والعلماء ـ عداك عن عامة الشعب ـ حجبوا عن التيّارات الفكريّة العالميّة المستجدة آنذاك خاصّة في أوربا، ولم يتمكّنوا من متابعة التطوّرات الفكريّة والعلميّة.

ثم إنّ الدولة العثمانيّة لم تستعد معنوياً لهذا السبق العلمي والتحدي الفكري الذي أخذ طابع الغزو الفكري، ولم يتحرّك المسلمون للعمل حسب المنهج الإسلامي الذي يطالبهم بالعمل للخلافة في الأرض وإعمارها واستخراج كنوزها والإفادة من خيراتها، ولم تشجّع الدولة على البحث ومتابعة التطورات واستثمار النتائج العلميّة الجديدة التشجيع اللائق الذي يؤهلها للمجابهة، فكان لكل طرف نصيبه من التقصير ـ حكاماً وشعوباً ـ، وكانت العاقبة أنْ ظهر التخلف العلمي والتقهقر المعنوي والسياسي في الدولة العثمانيّة، ومع مرور الأيام برز التطور الأوربي وأصبح واضحاً للعيان، وقوي هذا الظهور في عصر الانحطاط والتراجع (١١٧١ ـ ١٣٢٧ هـ)، وبدأت أخبار الغرب تفد إلى الشرق وفي العلماء من هو مُصدِّق ومكذِّب لما يسمع، وبدا الانتكاس في العالم الإسلامي، وبرز على أثر هذا الانتكاس العلمي والنفسي فكرة تقليد أورباوالسير على خطاها، "وأصبح تقليد أوربا والسير على منهجها أمراً محموداً يسعى إليه، وغداً استقدام الضباط وإرسال البعثات للإفادة أمراً قائماً". (انظر: شاكر محمود التاريخ الإسلامي ١١٩/٨، وأبو حجر عمر التفسير العلمي في الميزان ص ٣٤١).

وكان اتصال المسلمين بالحضارة الغربيّة خاصّة في القرن الثامن عشر الميلادي فما بعد محصوراً في الجانب المادي الآلي منها.(انظر: المحتسب د. عبد المجيد التفسير العلمي في العصر الراهن مصدر سابق ص٧ و ٨).

ومما ساعد – وبقوة – في تمزيق العالم الإسلامي وتفكيكه بعد ذلك وزاد من بلية تراجعه العلمي والثقافي؛ظهور الفكرة القومية وانتشارها بدعم سياسي خارجي (انظر: شاكر محمود، التاريخ الإسلامي ١٤٨/٨)

ثم عمل بعض حُكّام الدولة العثمانيّة على الانفتاح على أوربا وأنْ تُصبح بلاده جزءً من الغرب كما فعل السلطان محمود الثاني الذي أمر بأنْ يكون الزى الأوربي هو الزى الرسمي لكل موظّفي الدولة العسكريّين والمدنيين، وتبِعه ابنه عبد المجيد الذي أصدر فرمان الإصلاح عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) ورسم منهجه في إرساء الحريّة الشخصيّة والحريّة الفكريّة وتسوية غير المسلمين بالمسلمين. . . وتوالت الخطوات وترسم الخديوي إسماعيل الخُطا الأوربيّة بعدهما وهكذا(انظر: المحتسب د. عبد المجيد مصدر سابق ص ٩)، إلى أنْ وجدت أوربا منفذاً قويّاً للدخول في بلاد المسلمين والتحكم بهم عن طريق الحملات باسم نشر العلم ومعاداة الجهل، والأخذ بيد الناس نحو الحضارة والمدنيّة وإبعادها عن التأخر والرجعيّة و. . . ، وبذلك بدأت تسود العقليّة الأوربيّة التي ترى نفسها هي العقليّة الدقيقة، وكان أشد هذه الحملات وأعظمها أثراً على المسلمين: الحملة الفرنسيّة على مصر، التي كان يعتبرها الأوربيّون عامّة والفرنسيّون خاصّة بداية التطور الحضاري في مصر، وترك المظاهر المتخلِّفة، وأخذت هذه الحملات والبعثات ظاهرة قوية في عهد مُحَمَّد علي باشا(١٢٢٠ هـ، ١٨٠٥ م) الذي كان يُمثل الانفتاح نحو أوربا عامّة وفرنسا خاصّة، فقد كانت فرنسا مرجعيّة مستشاريّه من عملاء المستشرقين وجواسيس فرنسا الذين كانوا يؤثرون بقوة عليه وإقناعه في الإرساليّات العلميّة إلى أوربا– وخاصة منها فرنسا – أنها بعثات (نحو الحضارة والمدنيّة والتقدم. .). (انظر:شاكر محمود، التاريخ الإسلامي،٣٨/٨، ٣٩،و ٨/ ١٥٨)

ولا ينكر دور البعثات التي بدأ إرسالها منذ عام ١٢٤١هـ /١٨٢٦م في نقل بعض العلوم الحديثة من أوربا إلى المسلمين، ولكن لا ينكر أيضاً ما كانت تحمله هذه البعثات من بذور الأصول الأوربيّة في الفكر والعادات والآداب. . . وغير ذلك، إذ ألقوها في التربة الإسلاميّة وكان من ذلك التفريق بين العلم والدين في أوربا بعد الثورة على الكنيسة، ثم بدأ الترويج في أوساط المثقفين المبتعثين في أوربا لفكرة مفادها: "إنّ مُفكري الغرب ومؤرخيه من مستشرقين ومنصرين نتيجة لقوتهم الماديّة والعلميّة التي وصلوا إليها في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريّين الموافق للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر

الميلاديّين اعتقدوا أنّ قوّتهم الماديّة هي أصل الحضارات في التاريخ كما اعتقدوا أنّ العقليّة الغربيّة هي العقليّة الدقيقة التأمل والتي تستطيع أنْ تُفكِّر تفكيراً سليماً، أما غيرهم من الشعوب وخاصّة منهم المسلمون فإنّ عقليّتهم ساذجة بسيطة تُدرك الأمور بواسطة الجزئيّات لا تدركها إدراكاً كليّاً، وبذلك استحلّت هذه الفكرة عقول المثقفين الأوربيّين.(انظر: الوذينان، د. خلف دبلان، الدولة العثمانية والغزو الفكري ص ١٧٦، ١٧٧).

وألقت أوربا فتنتها على المسلمين عامّة والنصارى في بلاد المسلمين خاصّة، فأخذ الجميع يوفدون أولادهم ويلقونهم في أحضان أوربا للتعليم على أيدي أساتذة المستشرقين والمنصرين الذين وجدوا في هذه الوفود الشبابية المعول المناسب لضرب المجتمع المسلم وتقويض أركانه، وبذلك بدأت الهزيمة النفسية تأخذ مأخذها في الأمصار الإسلاميّة،خاصّة بعد عام١٢٣٢هـ/١٨١٦م،فكان لابد من ظهور اتجاهين في بلاد المسلمين نتيجة ذلك: (انظر: شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي ٨/١٦٣، ١٦٤،المحتسب د.عبد المجيد،التفسير العلمي في العصر الراهن ص ٢٦٠).

الأول: يرى أن النهوض والقوة لا يتمان إلا بتقليد أوربا والسير على خُطاها، وكان أصحاب هذا الاتجاه هم أصحاب السيطرة على الساحة العلميّة والاجتماعيّة والفكريّة، وكانت القوة بأيديهم، ولعب الاستشراق دوراً مهماً في رعاية هذا الاتجاه وتبناه، بل وهي التي تبنّت البعثات إلى أوربا وفرنسا خاصّة كما تقدم، لأنّها كانت ترى في هذه البعثات امتداداً لأفكارها خارج نطاق قارتها، ولها دور في إبعاد المسلمين في المستقبل عن عقيدتهم التي تبقيهم أقوياء متماسكين عزيزين وإبعادهم عن مفاهيم الإسلام الصحيحة، والاستشراق بهذه البعثات لن يخسر شيئاً، وفي الوقت نفسه سيظفر بأكبر غنيمة، فإنّ أفراد هذه البعثات لابد سيذوبون في المجتمعات الأوربيّة ويذوقون من عسيلتها ويتعلمون لغتها وينسون لغتهم، وبذلك يزدادون جهلاً بدينهم وبعداً عن أصولهم، ومعرفة بأوربا ومدنيتها وبوقاً لتعظيمها على أقل الأمور.

الاتجاه الثاني: يرى أصحابه أن التخلف القائم في بلاد المسلمين إنّما يعود إلى جهل المسلمين بشكل عام في أمور الإسلام وحقيقته، وبعدهم عن مفهوم العلم الشمولي في الإسلام، وأن هذا المفهوم هو الذي يحقق الاستخلاف في الأرض للإنسان،فالإسلام يحث على طلب العلم، ويدعو إلى التفكير والتحرر من الخرافات والجهل والأوهام، ويوجب استقلال المسلم في مبدئه وشخصيّته وهيأته، ويوجب الاستعداد بكل الإمكانيّات والطاقات لبناء دولة قوية تقف أمام التحديّات والأعداء. . .

وكان أصحاب هذا الاتجاه يتمثل بأهل العلم المخلصين الذين أخذوا ينتقدون ما آلت إليه حال المسلمين من جهل وتخلف.

وأخذ أصحاب الاتجاه الثاني في إعادة المسلمين إلى الصواب، وتعريفهم بجوهر الإسلام، وأنّ العلم في الإسلام أعم ممّا يتصوره المستغربون، وأنّه لا يتجزّأ ولا ينفصل عن أصول الدين و. .الخ. (ينظر:برغوثد. عبد العزيز."موقع نظرية العلم في عملية الاستخلاف والتحضر عند النورسي ".الموقع الإلكتروني "النور للدراسات الحضارية والفكرية.(2010) على الرابط

(http://dergipark.ulakbim.gov.tr/alnur/article/view/5000090637)

ومع هذا الصراع بين الاتجاهين وغلبة الاتجاه الأول إعلاميّاً وماديّاً دعماً من القوى المستعمرة لبلاد المسلمين بدأ يظهر المفهوم الجديد للعلم، ويتلخص بأنّ العلم هو كل ما يخضع للتجربة والمشاهدة، واعتبار كل ظاهرة ليس لها تفسير من هذا النوع من العلم وغير خاضعة للحس والتجربة خرافة، ومن ذلك الدين.

ولما كان أصحاب الاتجاه الأول يمثلهم العقول المستغربة التي درست في أوربا وحملت بذرة العداء للدين، وأصحاب الاتجاه الثاني يمثلهم علماء المسلمين الذين يمثلون المرجعيّة الصادقة للمسلمين؛ فقد ظهر مع المفهوم الجديد للعلم صراعاً جدلياً عدائيّاً بين العلم والدين، تأصلت هذه الجدليّة في الأوساط الثقافيّة في البلاد الإسلاميّة منذ وفود البعثات العلميّة لأوربا وحقنهم بها، وغذيت بدخول الاحتلال ونشوب القوميّات

والأحزاب التي كان يرعاها غير المسلمين . النصارى بمختلف طوائفهم خاصّة . في المجتمعات الإسلاميّة، وأعلن عند ذلك الحرب على الدين ورفع شعار العلم، وكان هذا الصراع إيذانا لنقل أمراض البلاد الأوربيّة في الفكر والسياسة والاجتماع إلى بلاد المسلمين، ومن أهم هذه الأمراض الفكريّة والعلميّة: حصر مفهوم العلم على المادة المحسوسة الخاضعة

ومع أنّ هذا المفهوم الجديد الضيق للعلم الذي ظهر إبان النهضة الأوربيّة كان موجهاً إلى دين الكنيسة المسيحيّة بالذات، إلا أنّ المستغربين من أبناء البلاد العربيّة المبعوثة إلى أوربا ثم عادوا إلى أوطانهم حاملين هذا المفهوم المريض عمموه على الإسلام، ثم عزز هذا التعميم الاحتلال الأوربي والقوميّون والعلمانيون الذين صاروا يحاولون إقصاء الدين من حياة الناس بحجة أنّه سبب تخلف المسلمين كما كان الدين في أوربا.(انظر: المحتسب د. عبد المجيد، اتجاهات التفسير في العصر الحديث ص ٢٦١، والبوطي د. مُحَمَّد سعيد يغالطونك إذ يقولون، ص ١٣٩، والبهي د. مُحَمَّد ، نحو القرآن، ١٣٩٦هص ١٤٨، ١٤٩).

وممّا ساعد على زيادة وتيرة الحرب العدائيّة على الإسلام وعلومه اجتراء أنصاف العلماء على الفتيا وتحريمهم تعلم العلوم الصناعيّة والتقنيّة بحجة أنها وافدة من بلاد الكفر، مع أنها كانت تقرأ في مدارس المسلمين من القرن الثالث إلى القرن التاسع الهجري في جملة العلوم التي لها مساس بالشرع، وغدا التعليم في المدارس والجامعات في البلاد الإسلاميّة لا يرتبط ارتباطا صحيحا بالإسلام.(انظر: المحتسب د. عبد المجيد التفسير العلمي في العصر الراهن ص ٣٤٣).

بل يمكننا القول إنّ الاحتلال قد سيطر على أجهزة التعليم في كثير من البلاد الإسلاميّة فضلاً عن جهوده الدائبة لنشر التغريب واللادينيّة بكل الوسائل الممكنة وأوهموا الناس أنّ حالة العالم الإسلامي تماماً كحالة أوربا في (العصور الوسطى) وأنه لن ينهض إلا بما نهضت به أوربا من فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية ومن نبذ

الدين وتحكيم العلم بمفهومه الأوربي الجديد.(الرومي د. فهد اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ١٤٠٧هـ ٢ / ٧١٦) .

ولذلك فإن الباحث يعتبر أن انقلاب معنى العلم من المعنى الإسلامي الذي أسسه القرآن إلى المعنى الغربي؛ هو أحد معوقات النهضة الحضارية للمسلمين، وإن تغييب معنى العلم في القرآن عن ثقافتنا الإسلامية، وتغييبه عن مناهجنا التعليمية، وجهل المسلمين عموماً والمثقفين خصوصاً بمعنى العلم في القرآن، أحد معوقات السلوك الحضاري، وأحد أهم أسباب الانتكاس في النهضة المرجوة في شباب الأمة، ذلك لأن أبناء الأمة عندما يعلمون أن دينهم يحتم عليهم التنوع في الاختصاصات وأن الانشغال بها لا يقل أهمية عن الانشغال بالعلوم الشرعية لكون العلم في الإسلام متكامل غير مجزوء ولا منقوص، وأنه إن ترك هذا الانشغال فإنه يكون قد ترك واجباً شرعياً؛ فإن هذا سيجعله ضمن المسؤولية الشرعية وسينطلق في هذه العلوم المختلفة من دينه فيستقي مفاهيمها من معين الوحي ويبحث تفاصيلها في كتاب الخلق، أما ما دام معنى العلم المبتسر هو المحرك للمسيرة العلمية في أبنائنا فإن هذا المفهوم سيجعلهم عالة على إنتاج أصحاب هذا المفهوم، وأسرى لدى نظرياتهم وتصوراتهم، وجياعاً لجديدهم، غير مستقلين ولا مجددين والله أعلم.

ينبغي على المسلمين أن ينهضوا وأن يعملوا على تصحيح المسيرة العلمية كما أرادها الإسلام، فلا بد من تضافر الجهود وكسب الوقت لصياغة منظومة عامة للعلم والتقنية بشكل منهجي مقنن في إطار من التصور الإسلامي الشمولي العام للعلم، انطلاقاً من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ويعيدوا سيرة مجدهم السابق الذي غاب بجمودهم، فإن المحللين لنتائج الأبحاث الجارية خلال العقدين الأخيرين . وخاصة في مجال الفيزياء والبيولوجيا والفلك والرياضيات والمعلومات . يتوقعون " أننا على موعد مع ثورة علمية هائلة يتهادى تحت معاولها أساس الكثير من النظريات والمذاهب الوضعية السائدة حالياً، ويطرأ بسببها تحول كبير على وعي الإنسان وتصوره لنفسه وللعالم "(انظر:فؤاد

باشا د. أحمد "نظرية العلم الإسلامية نحو حضارة إسلامية مستقبلية أساسها الدين والعلم"، بحث مستفاد من الانترنت على موقع:www. islamset.com.)

أقول: فإن حصل ذلك بإذن الله ستكون هذه المنظومة هي الأقدر على تهيئة الإنسان لكل ما يمكن أن تسفر عنه الثورة العلمية والتقنية المرتقبة في المستقبل القريب أو البعيد، فلا تحصل الفتنة بها كما حصلت الآن في التشكيك بالإسلام وشعائره تحت مسمى العلم والله أعلم.

الخاتمة:

أهم النتائج:

١- إن العلم في القرآن: يشمل كل معرفة تنكشف بها حقائق الأشياء وتزول به غشاوة الجهل والشك عن عقل الإنسان سواء كان موضوعه الكون والطبيعة ؛ أم كان موضوعه الإنسان أو الوجود بأسره أو كان موضوعه الغيبيات، وسواء كانت وسيلة معرفته الحس والتجربة أم كانت وسيلته العقل والبرهان أو كانت وسيلته الوحي والنبوة.

٢- لقد بين النبي ﷺ سبل كسب المعارف العلمية وهيأ للمسلمين أسباب الانفتاح الحضاري بما يؤهلهم قيادة العالم حضارياً، وقد حصل هذا الانفتاح وقاد المسلمون العالم نحو الحضارة من خلال تقعيد العلوم والاكتشافات العلمية الكثيرة.

٣- لقد كان لمعنى العلم الشامل الذي قرره القرآن الأثر العظيم في انطلاقة المسلمين الحضارية وانفتاحهم على العلوم المختلفة، بل إن من أسباب اهتمامهم بهذه العلوم هو ارتباطها بعباداتهم وأحكامهم وعلم الفلك والطب مثال على ذلك.

٤- إن الصحة الإيمانية والعافية العقلية وإدراك المسلمين الأوائل لعموم معنى العلم وشموليته في الإسلام لم يوقفهم أمام العلوم المختلفة في البلاد التي فتحوها موقف المتردد أو المعرض عنها، بل انكبوا عليها دراسة وتنقيحاً وتصحيحاً.

٥- لقد لعب الاحتلال والاستشراق والبعثات الوافدة من أوربا دوراً بارزاً في تغييب معنى العلم في الإسلام وزرع المفهوم الغربي للعلم المقتصر على ما يخضع للحواس والتفسير المادي.

٦- إن الجهل الذي يعيشه المسلمون اليوم بشمولية معنى العلم في الإسلام، وسيطرة المعنى الأوربي للعلم، وسيطرة الفكرة العلمانية على عقول كثير من المثقفين في فصل العلم عن الدين، والدين عن الحياة: هو السبب المباشر لما نعانيه اليوم من الجدلية العدائية والتخلف الحضاري، وهو أحد أهم أسباب معوقات النهضة المرجوة من أبناء الأمة.

أهم التوصيات:

١- إعادة المفهوم الحقيقي للعلم في الإسلام إلى عقول أبنائنا وثقافتنا الإسلامية، وذلك من خلال تدريس هذا المفهوم في مادة الثقافة الإسلامية وتعزيزها بمادة تاريخ العلوم عند المسلمين، والتركيز على ذلك في جميع المراحل الدراسية ووسائل الإعلام والندوات والمحاضرات والمؤتمرات المختلفة، كخطوة ضرورية نحو النهضة الإسلامية، والعمل على إلغاء معنى العلم المبتسر الوافد إلينا من أوربا في حين غرة وغفلة.

٢- إنشاء مراكز علمية متخصصة بالمسلمين في جميع التخصصات التطبيقية والتجريبية، وتشجيع البحث العلمي باسم الإسلام انطلاقاً من قوله تعالى ((اقرأ باسمربك الذي خلق)).

المراجع والمصادر

أولاً: الكتب

١. ابن أبي شيبة، عبد الله بن مُحَمَّد أبو بكر، المصنف، تحقيق كمال يوسف الحوت ط مكتبة الرشد الرياض أولى ١٤٠٩.

٢. ابن حنبل، الإمام أحمد المسند، تحقيق شعيب أرناؤوط، ط مؤسسة الرسالة، أولى ٢٠٠١

٣. ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المشهور بـ: التحرير والتنوير طبع: الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ

٤. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون ،ط: دار الجيل، د. ت.

٥. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم،تحقيق: سامي بن مُحَمَّد سلامة، طبع: دار طيبة للنشر والتوزيع، الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

٦. أبو حجر، د. أحمد عمر: التفسير العلمي للقرآن الكريم في الميزان، ط: دار ابن قتيبة دمشق، أولى ١٩٩١م.

٧. أبو زهرة، مُحَمَّد بن أحمد، زهرة التفاسير، طبع: دار الفكر العربي، دون تاريخ.

٨. أحمد، د. ليلى عبد اللطيف، دراسات في تاريخ ومؤرخي مصر والشام إبان العصر العثماني، ط مكتبة الخانجي.

٩. البخاري،مُحَمَّد بن إسماعيل،الجامع المسند المختصر الصحيح،تحقيق د.مصطفى البغا،ط دار ابن كثير، اليمامة، بيروت ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧م.

١٠. البغوي، الحسين بن مسعود الفراء، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق : عبد الرزاق المهدي،طبع: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الأولى،١٤٢٠ هـ

١١. البهي، د. مُحَمَّد نحو القرآن، ط مطبعة التقدم مصر، أولى ١٣٩٦ هـ.

١٢. البوطي، د. مُحَمَّد سعيد رمضان، يغالطونك إذ يقولون، ط دار الفارابي، دار اقرأ، دمشق.

١٣. الترمذي، مُحَمَّد بن سورة أبو عيسى: الجامع، تحقيق أحمد شاكر، ط مؤسسة الرسالة، أولى ١٤٢٠م.

١٤. التهانوي، مُحَمَّد بن علي الفاروقي الحنفي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٩٩٦م.

١٥. توبي، أ. هف، فجر العلم الحديث، الإسلام، الصين، الغرب، ترجمة: د مُحَمَّد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت العدد ٢٦، ط ثانية ٢٠٠ م .

١٦. الجرجاني: علي بن مُحَمَّد بن علي ،التعريفات، تحقيق : إبراهيم الأبياري، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥.

١٧. الدفاع، النجار، د. علي، د. زغلول، إسهام علماء المسلمين الأوائل في تطوير علوم الأرض، ط: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٩هـ.

١٨. الدفاع، د. علي، أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك، ط الرسالة ، أولى ١٤٠٥.

١٩. الدفاع، د. علي، إسهام علماء العرب والمسلمين في الكيمياء، صـ٢٦، وصـ ٣٤، ٣٥، ط مؤسسة الرسالة الثانية ١٤٠٥هـ.

٢٠. الدفاع، د. علي، إسهام علماء العرب والمسلمين في علم الحيوان، ط مؤسسة الرسالة، أولى ١٤٠٦.

٢١. الدفاع، د. علي، أعلام العرب والمسلمين في الطب،ط الرسالة،أولى ١٤٠٣.

٢٢. الدفاع، د. علي، رواد علم الفلك في الحضارة العربية الإسلامية، ط نادي أبها الأدبي، أولى ١٩٨٢.

٢٣. الدفاع، شوقي، د. علي، د. جلال، أعلام الفيزياء في الإسلام، ط الرسالة، الثانية ١٤٠٦.

٢٤. الذهبي، مُحَمَّد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب أرناؤط ومجموعة من العلماء ط الرسالة ١٤١٣ هـ.

٢٥. الرازي: مُحَمَّد بن عمر بن الحسين، المحصول في أصول الفقه، تحقيق : طه جابر فياض العلوانيالناشر : جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية – الرياضالطبعة الأولى ، ١٤٠٠.

٢٦. الرومي، د. فهد اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ط إدارة البحوث العلمية والإفتاء في السعودية، الأولى ١٤٠٧ هـ.

٢٧. الزبيدي، د. عبد الرحمن بن زيد، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ط المعهد العالمي الإسلامي أمريكا.

٢٨. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط دار العلم للملايين الخامسة عشر ٢٠٠٢م.

٢٩. سعيد، د. عبد الستار فتح الله، المدخل إلى التفسير الموضوعي، ط: دار التوزيع مصر ١٩٩١ ثانية.

٣٠. سقا، د. مرهف عبد الجبار، التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، ط: دار مُحَمَّد الأمين دمشق، أولى ١٤٣١هـ .

٣١. السيد زغلول،د.الشحات،الاتجاهات الفكرية في التفسير،ط:االثانية،الهيئة المصرية العامة، ١٣٩٧هـ.

٣٢. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: الإتقان في علوم القرآن، ط دار الفكر بيروت،د ت.

٣٣. شاكر، العلامة محمود، منهج العودة إلى ثقافتنا، ط مؤسسة الرسالة، ناشرون ٢٠٠٢م.

٣٤. شاكر، محمود التاريخ الإسلامي، ط المكتب الإسلامي، الرابعة ١٤٢١ هـ.

٣٥. الشريقي، د.إبراهيم، التاريخ الإسلامي خلال أربعة عشر قرناً، ط: مصر، الثانية، ١٩٧١.

٣٦. شلبي،د.أحمد،موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية،ط:دار النهضة المصرية،السابعة،١٩٨٢.

٣٧. شلبي،د.أحمد موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية،ط ثالثة مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٧م.

٣٨. عتر، د. نور الدين، فكر المسلم وتحديات الألفية الثالثة ، د نور الدين عتر.ط دار الرؤى.

٣٩. عثمان،د.عبد الكريم:معالم الثقافة الإسلامية،ط:مؤسسة الرسالة،أولى:١٤٢٠هـ.

٤٠. فورخ، عبد القادر،حلاق، د.عمر،د.ماهر،د.حسان، تاريخ العلوم عند العرب،ط دار النهضة، مصر ١٤١٠هـ.

٤١. الفيومي أحمد بن مُحَمَّد المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،اعتنى به عادل مرشد،ط:بيروت،د.ت.

٤٢. الكتاني، مُحَمَّد عبد الحي، التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية،تحقيقعبد الله الخالدي ط: دار الأرقم بيروت، الثانية

٤٣. المحتسب، د. عبد المجيد، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ط جمعية عمال المطابع التعاونية الأردن الثالثة ١٤٠٢.

٤٤. المناوي، مُحَمَّد بن عبد الرؤوف فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط: دار الكتب العلمية، لبنان، الأولى ١٤١٥هـ.

٤٥. النووي، يحيى بن شرف الدين، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط: دار إحياء التراث العربي بيروت، الثانية ١٣٩٢هـ.

٤٦. النيسابوري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق فؤاد عبد الباقي، ط: دار الفكر بيروت.

٤٧. الهيثمي، نور الدين علي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط: دار الفكر بيروت ١٤١٢.

٤٨. الوذينان، د. خلف دبلان، الدولة العثمانية والغزو الفكري، ط جامعة أم القرى مكة، الثانية ١٤٢٤.

ثانياً: الأبحاث والدوريّات:

٤٩. الطالبي، د. عمار، مفهوم العلم وحرية البحث العلمي في الإسلام،موقع:www.islamset.com

٥٠. فؤاد باشا، د. أحمد، نظرية العلم الإسلامية نحو حضارة إسلامية مستقبلية أساسها الدين والعلم، بحث مستفاد من الانترنت، موقع: www.islamset.com.

٥١. الكافي،د.عبد الكريم، دور التعريب في تأصيل الثقافة الذاتية العربية،مجلة التراث العربي العدد(١٣،١٤)، عام ١٩٨٤م.

٥٢. برغوث د. عبد العزيز. "موقع نظرية العلم في عملية الاستخلاف والتحضر عند النورسي ".النور للدراسات الحضارية والفكرية.(2010) على الرابط:
http://dergipark.ulakbim.gov.tr/alnur/article/view/5000090637